الأجيال الشعرية
تباين المصطلح وحساسية المفهوم

محمد بشير الأحمد * أ. م. د. أنس بديوي**

(الإيداع: 17 شباط 2019 ، القبول: 7 آب 2019)

ملخص:

يقوم هذا البحث على تتبع ظاهرة الأجيال الشعرية، من خلال آراء بعض النقاد والدارسين والمشتغلين على هذه الظاهرة، الذين تراوحت طروحاتهم وتعددت آراؤهم بين قابل "للتجييل" وفقاً لمعايير محددة واعتبارات نوَّه إليها البحث، وبين مشكِّكٍ بهذه المعايير، ورافضٍ لمجملها ولقضية "التجييل" بالمطلق.

فعرض البحث أبرز تلك الآراء . وفق رؤية يزعم أنها لا ترفض رأياً ولا تتبنى آخر بقدر ما تفيد منه وتبني عليه . التي تباينت في تحديدها لمصطلح "الجيل"، بتوجيه من فهمهم الخاص للزمن المُختَلَف عليه نسبياً، وفقاً لسياقات معرفية وثقافية، مكَّنت البحث من الكشف عن حساسية مفهوم "الجيل"، الذي شكَّل علامةً فارقةً على الخارطة التي ربطت النتاج الأدبي بالزمن، وجعلت من عملية "التجييل" إشكالاً.

كما بيَّن البحث مفهوم الجيل في الحقلين المعجمي والأدبي، وقدَّم رؤيته المتعلقة "بالتجييل"، وتصوُّره في كيفية تشكُّل الأجيال، وأشار إلى أبرز المحددات التي يمكن أن تحدد ملامح "الجيل"، إضافة إلى العوامل التي قد تؤثِّر فيه وفي حركته وتوجهه. ونوَّه إلى وجود نقاط تقاطع بين عمليتي "التجييل" و"التحقيب"، رغم عدم تطابق مفهوميها، واختلاف المنهج التطبيقي والآلية الإجرائية في كل منهما.

ولفت أيضاً إلى دور "التجييل" وأهميته بالنسبة إلى دارسي الأدب ونقاده وأبناء المجتمع الذي يحتضن "الجيل". وذلك كله في إطار الآراء النقدية التي توقف عندها البحث.

الكلمات المفتاحية: الجيل الشعري، التجييل، التحقيب، حساسية الجيل، إشكالية التجييل.

* طالب دراسات عليا، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حماة.

** أستاذ النقد الأدبي الحديث، عضو الهيئة التدريسية، كلية الآداب، جامعة حماة.

Poetic Generations

Variation of Term and Sensitivity of Concept

Mouhamad Basher Al ahmad **Dr. Anas Bdiwe**

(Received:17 Feberuary 2019, Accepted:7 August 2019)

Abstract:

This research follows the phenomenon of the poetic generations, through the opinions of some critics and scholars and practitioners on this phenomenon, whose opinions varied and varied between the answerable according to specific criteria and considerations pointed out by the research, and skeptical of these standards, rejecting the whole and the issue of "generating" absolute. The research presented the most prominent of these views according to a vision that claims that it does not reject an opinion and does not adopt another as much as it is used and adopted, which differed in its definition of the term "generation". Under the guidance of their own understanding of the relatively from, according to cultural and cognitive contexts، On the sensitivity of the concept of "Generation", which marked a milestone on the map, which linked the literary output with time, and made the process of "Generating" problematic.The research also showed the concept of generation in the fields of lexicography and literature, and presented its vision of "Generating", and its perception of how generations form, and pointed to the most important determinants that can determine the features of the generation, in addition to the factors that may affect the movement and direction. It pointed to the existence of points of intersection between the processes of "Generating" and "Chronolization", despite the mismatch of their concepts, and the different approach applied and procedural mechanism in each. It also referred to the role of "Generating" and its importance for the scholars of literature and critics and the members of society that embraces the generation. All are within the framework of the critical views that stopped the research.

Key Words: Poitic Generation, Generating, Chronolization, Sensitivity of generation, Proplematic Generation.

1-المقدمة:

بات التقسيم الجيليُّ أو ما يسمَّى "بالتجييل" نهجاً نقدياً يسير عليه أغلب نقاد الأدب ودارسيه والمشتغلين عليه، بغية تسهيل عملية تناول الأدب وتحليله، فشاعت تسميات: جيل الأربعينيَّات والخمسينيَّات والستينيَّات.. والذي شجع على هذا الشيوع ونمَّاه وأسس له "أفكار التنوير التي احتفت بفكرة التغير الاجتماعي"[1].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا التقسيم "الجيليّ" إلى ما يعرف بالأجيال "Generations" ، ليس حكراً على الأدب فحسب، وإنما نراه في الجوانب العلمية والصناعية والتقنية، فكثيراً ما تتردد عبارة الجيل الأول، والجيل الثاني، والجيل الثالث.. في الاختراعات والابتكارات، لكنَّ ما يعنينا من ذلك، هو الجيل الشعري.

أضف إلى ذلك أنَّ فكرة التجييل ليست بدعةً جديدةً، وإنما كان التقسيم إلى فئات أو طبقات – إن صح هذا التعبير– موجوداً في الدراسات النقدية القديمة. والمثال الصَّارخ أمامنا؛ تقسيم ابن سلام الجمحي الشعراء الجاهليين والإسلاميين وفقاً لطبقات في كتابه طبقات فحول الشعراء، وذلك تبعاً لمنهج ومعايير حددها وسار عليها. مما يعني "أن فكرة تقسيم الشعراء إلى طبقات من منطلق العامل الزمني هي فكرة تقع في صميم إشكال التحقيب"[2]

مشكلة البحث:

يكتسب البحث مشروعيته انطلاقاً من معالجته إحدى القضايا النقدية المرتبطة بالزمن المُختلَف على تحديده عند الدارسين، ما يؤثر في عملية التصنيف الأدبي، التي يوزِّع الأدباء جرَّاءها على شرائح، تعرف بحسب ما شاع باسم "الأجيال"، ويمنح هذا المفهوم حساسيَّةً تتفاوت شدتها تبعاً لتباين المصطلح وقصديته عند النقاد، الذين يسعون من خلال هذه العملية . التجييل . إلى دراسة الأدب وفق نظرية تفترض وجود تأثير متبادل بين عمر الأديب، ونتاجه الأدبي، والحيز الزمني الذي أنتج فيه ذلك الأدب. ومن ثمَّ تتولَّد أزمة "التجييل" نظراً لتعدد الآراء النقدية، بسبب اختلاف مشارب أصحابها وتوجهاتهم وخلفياتهم الفكرية والمعرفية من جهة، ولاختلاف زاوية الرؤية من ناقد لآخر من جهة ثانية.

2-هدف البحث:

يتوسل البحث بآراء النقاد والدارسين والمشتغلين في حقول "التجييل"، التي حاول تتبعها وتوقف عندها، في مسعىً منه للمقاربة بينها والكشف عن نقاط اشتراكٍ بين الطروحات المقدمة حول "الأجيال الشعرية"، بغية الوصول ما أمكن إلى نظرة عامة يتبلور منها مصطلح "الأجيال الشعرية"، وتشف عن استراتيجية "التجييل" على نحوٍ يقلِّص المسافات بين تلك الآراء، ويسعى إلى تقديم رؤية متكاملة، يتحدد من خلالها المجال التقريبي للجيل، بأصوله وامتداداته وتأثيره في الأجيال اللاحقة.

الدراسات السابقة:

لم يتم تناول مسألة "الأجيال الشعرية" في كتاب مستقل، وأغلب الدراسات التي وقفنا عليها اعتمدت المفهوم بوصفه مجالاً تطبيقياً، ومن هذه الدراسات:

- عساف. عبد الله: الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا تجربة الحداثة في مجلة شعر وجيل الستينيات في سورية. ضم الكتاب أربعة ابواب؛ الباب الأول تطرق فيه المؤلف إلى قضايا نظرية تتعلق بطبيعة الصورة الفنية والمؤثرات الثقافية فيها، وتحدث في الباب الثاني عن الرؤيا والرؤية في الصورة الفنية من خلال علاقة الصورة بكل من المجتمع والفرد، أما الباب الثالث فتحدث فيه عن عناصر الصورة الفنية وعلاقتها بالأسطورة والرمز، وختم الكتاب بالباب الرابع الذي تناول فيه ظواهر بارزة في الصورة الفنية.

---

[1] – عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 12سبتمبر2010.

[2] – قراش، محمد: إشكال التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح، ص14.

- الطالب. هايل: تحولات البنية والدلالة في النص الشعري قضايا ونماذج. درس فيه مجموعة من التجارب الشعرية الجديدة لجيل التسعينيات في سورية، وعالج الكتاب قضايا محددة تمثلت في: 1- البناء الدرامي وجمالية الصورة (شعراء الجزيرة نموذجاً). 2- حضور التراث من خلال تحولات الأطلال في النص الشعري. 3- المغايرة اللغوية في قصيدة التسعينيات. 4- البنية اللغوية والأسلوبية للقصيدة الطويلة.

مصطلحات البحث وتحديداته:

يقوم البحث على تأصيل مصطلح "الأجيال الشعرية" الذي قصد به أن الجيل شريحة أدبية من الشعراء الذين تتقارب أعمارهم – بفوارق لا تتجاوز العقد- وتوجهاتهم الفكرية التي تؤثر فيها طبيعة المرحلة التي يمارسون نشاطهم الشعري خلالها، مع تمايز ينجم عن خصوصية التجربة والمعطيات الاجتماعية التي تفرض تغيّراً في النتاج الشعري.

منهج البحث:

وصفي استقرائي يتتبع مفهوم "الأجيال الشعرية" في المراجع والدراسات النقدية، التي جعلت من الأجيال الشعرية محوراً رئيساً في الدراسات الفنية التي تتناول الظواهر الشعرية.

العرض:

يرى بعض النقاد أن أمر تسمية "الجيل" لم يستقر بعد، ويرجعون السبب في ذلك إلى "طبيعة التوصيف الذي لا يضبط حدوده مفهوم زمني أو فني محدد، ولا تحدد مسار انطلاقته واقعية تاريخية تسوغ سماته وتحدد خصائصه التي تميزه عن ماضيه القريب أو البعيد، ولا انعطافة في الشكل أو محتواه تقوم بالمهمة ذاتها، مما يحقق توافقاً على الميزات التي تعطي لهذا النمط الشعري أن يقوم بذلك"[1]. ليرهنوا بناءً على رؤيتهم هذه – التي نلحظ من خلالها الإشارة إلى حساسية المصطلح انطلاقاً من عملية الممارسة النقدية بالاشتغال عليه – أمر استقرار التسمية أو التوصيف وأسبابهما وفق تعبيرهم "بمواقف أصحاب الشأن وقناعاتهم وأهوائهم واختلاف مشاربهم ومنطلقاتهم الفكرية والفنية في أزمنتهم المتغيرة شعرياً واجتماعياً"[2]، وهذا ما يمنح النقد أو الممارسة النقدية حقها الطبيعي والمشروع في التباين والاختلاف والتعدد من حيث الطروحات والمفاهيم والرؤى، وذلك وفقاً للسياقات الثقافية والأطر العلمية والمعرفية العاكسة لطبيعة ظروف هذه المرحلة وهذه الممارسة، التي توجهها خلفيات إبستيمية مستقلة عن بعضها، على اعتبار أن كل إبستمي "يتأسس على أنقاض الإبستمي السابق، وهذا ما يحقق تطور العلم. وهذا أيضاً ما يمكن اتخاذه معياراً لنهاية حقبة وبداية حقبة جديدة ومن ثمَّ أساساً للتحقيب".[3]

مفهوم الجيل:

تدور المعاني اللغوية للجيل في المعاجم العربية حول الدلالة على الصنف من الناس، إذ ورد فيها أن كل صنف من الناس جيل، فالترك جيل، والعرب جيل، والروم جيل. وقيل كل قوم يختصون بلغةٍ جيلٌ.[4]

وفي المعاجم الأجنبية؛ تحمل كلمة "Generation" معنيين، الأول يدل على (النسل أو الذرية)، والثاني يدل على (الجيل).[5]

---

[1] – الجرادي، إبراهيم: القصيدة تبحث عن نفسها شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة، ص6.

[2] – نفسه، ص6.

[3] – ينظر: قراش، محمد: إشكال التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح، ص82.

[4] – ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ص134. والزمخشري: أساس البلاغة، ص108. والجوهري: الصحاح، ص226.

[5] – البعلبكي، منير: المورد، ص383.

أما في الحقل الأدبي؛ فيطرح بعض المشتغلين في التحقيب والتجييل مشكلة حساسية التحقيب، ويثيرون أسئلة متعدِّدة تتعلق بالأسباب والموجبات التي تكرس مفهوم التجييل العشري أو العقدي. "فلماذا عشر سنوات من دون غيرها، وهل هذه الفترة كافية حتى لتجمع بين شعراء من التوجهات الفكرية كافة، بل وحتى لدراسة السوية الشعرية"؟[1]، بمعنى هل هذه المدة كافية ليتشكل الجيل ويكوّن ملامحه ويقدم نفسه وتجربته الناضجة؟!

وهذه التساؤلات يجيب عنها الدكتور صلاح فضل وفق تصوره لمفهوم الجيل الذي عرضه في الندوة التي أقيمت ضمن فعاليات ملتقى صنعاء الأول للشعراء الشباب العرب*، فيرى أن الظاهرة تحتاج إلى أكثر من عقد حتى تنضج وتستقر ومن ثمَّ تأخذ صفة الجيل، مشيراً إلى وهم من يظن بتشكل جيل جديد في كل عقد، إذ يتعين أن تتداخل تلك الأجيال بشكل سريع الإيقاع، ولا بد من توافر ثلاثة عقود على الأقل لكي يتبلور كل جيل من الأجيال[2].

وعلى هذه المقولة يعقب علي سعدون فيقول: "وعلى الرغم من أهمية ما يشير إليه الدكتور صلاح فضل... فإن ولادة جيل ما في فترة قياسية لا يتعدى العقد الواحد، ليست مستحيلة أو ضرباً من الخيال إذا ما توفرت لها الفرصة الملائمة –على الأقل فنياً–".[3]

فيما تجدر الإشارة إلى أن كثيراً ممن يرفضون قضية التجييل العقدي "لم ينتبهوا إلى التحولات التي يمكن أن يحملها عقد من السنين، لأن التعايش بين الأجيال يوهم بأن الزمن لا يضع حداً ما بين التجارب أو يلغي التحديث الذي هو من لوازم حياة القصيدة وحيويتها معاً"[4]. فالسنوات العشر فترة ليست بالقصيرة، ولها امتدادها الفني والأدبي والثقافي. ذلك أن رقعة الجغرافيا الثقافية والأدبية لا تحددها فترة زمنية، وإنما ما ينجز خلال هذه الفترة أو تلك، ومن ثَمَّ يمكن القول: إن السنوات العشر أو العقد الواحد هي مدّة كافية وربما كافية جداً – نتيجة لتسارع الأحداث – حتى يولد الجيل ويتبلور وينضج ويكتسب أحقية طرح مشروعه وتقديم تجربته، وهذا كله متوقف على حركية الجيل ونشاطه وفاعليته.

وقد قدم صلاح فضل رؤيته بوصفه الجيل "مقولة تقديريةً، تشمل منظومة من الشخصيات المحورية، تقوم بدور قيادي في توجيه استراتيجية الثقافة والإبداع، وذلك بالتفاف حول هدف رئيسي، تحت زعامة ضمنية لأحدهم، مع تقاربهم في العمر بفوارق لا تتجاوز العقد الواحد، وتجانسهم في التوجه العام، مع الحفاظ على اختلافاتهم الفردية، وهم يشغلون الحياة العامة لمدة ثلث قرن تقريباً، قبل أن يسلموا الراية للجيل التالي لهم، والمتداخل نسبياً معهم"[5].

وهذه الرؤية تستند فيما يبدو على اعتبارات توشك أن تكون قريبة من مفاهيم التيارات أو المذاهب، وربما المدارس والاتجاهات. بالإضافة إلى أن صلاح فضل لم يحدد الجيل على نحو ما فعل نعيم اليافي، الذي حدد الجيل "زمنياً بعشر إلى خمس عشرة سنة، وفنياً بالتغير أو التحول الذي يطرأ على التقنية والبنية ثباتاً أو نكوصاً أو تقدماً"[6]. فاليافي وضع محددين للجيل؛ محدد زمني الفترة الممتدة من عشر إلى خمس عشرة سنة، والمحدد الفني الذي ربطه بالمتغيرات التي تعصف بالبنية وترصد سكونها

---

[1] – الأجيال الأدبية وجدل التحقيب الزمني، جريدة الخليج، دار الخليج، دبي، 2011/9/4.

* ملتقى صنعاء الأول للشعراء الشباب العرب (شعراء التسعينيات). عقد في 13–16 نيسان 2004، اليمن. بمشاركة: د. صلاح فضل، د. حاتم الصكر، د. محمد العباس، د. إبراهيم الجرادي، د. محمد عبد المطلب. ينظر: الجرادي، إبراهيم: القصيدة تبحث عن نفسها شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة، ص35، وسعدون، علي: جدل النص التسعيني دراسة عن الجيل التسعيني في الشعر العراقي وعلاقته بالأجيال الأخرى، ص41.

[2] – ينظر: سعدون، علي: جدل النص التسعيني دراسة عن الجيل التسعيني في الشعر العراقي وعلاقته بالأجيال الأخرى، ص40–41.

[3] – نفسه، ص41.

[4] – الصكر، حاتم: أجيال الشعر لا الشعراء، الموقع الإلكتروني لحاتم الصكر hatemalsager.com

[5] – فضل، صلاح: في النقد الأدبي، ص97.

[6] – اليافي، نعيم: الشعر المعاصر في سورية: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ص299.

وحركتها. وبدا ذلك من خلال التقسيم الذي أورده في بحثه المنشور في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين الذي عنوانه "الشعر المعاصر في سورية"، حيث قسم الشعر الحديث في سورية بدءاً من الحرب العالمية الأولى إلى خمسة أجيال؛ الجيل الأول: الرواد 1918 – 1934، والجيل الثاني: البناة 1935 – 1948، والجيل الثالث: المجددون 1948 – 1967، والجيل الرابع: تجارب الشعر المعاصر 1967 – 1990، والجيل الخامس: مخاض التجريب والحداثة 1990.[1]

ويحاول أنور عبد الحميد أن يقيم مفهوم "الجيل" على أكثر من مرتكز في كتابه ''علم الاجتماع الأدبي (منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد)'' فهو يعدُّ "مفهوم الجيل من المفاهيم المركزية داخل مطبخ سوسيولوجيا الأدب، فالجيل لا يشير فقط إلى ''التحقيب'' الزمني، بل يدل أيضاً على الملامح الاجتماعية التي تبصم أدباً ومجتمعاً بعينه، وبذلك؛ فالجيل الأدبي يتخذ معنى الجماعة من المبدعين الذين تتوحد أو تتركز انشغالاتهم الأدبية والمعرفية حول موقف أو قضية محددة، ما يقودهم نحو تعميق النقاش حول القضية نفسها وإنتاج طروحات متقاربة أو مختلفة بصددها"[2].

أما علاء عبد الهادي، فإن مفهومه للجيل بدا أكثر عموميةً من سابقيه، وقد نص على ذلك صراحةً في معرض حديثه عن مفهوم الجيل، فيقول: "يمكننا أن نعرف الجيل على نحو عام بأنه مجموعة من الأفراد ينظر إليهم بصفتهم جماعة لها سمات ثقافية متشابهة، ومواقف عقلية وثقافية واحدة"[3].

ويتسع بعدها أكثر في تقديمه تصوّره حول مفهوم الجيل، فيرى أن ظاهرة الأجيال الشعرية قد تحولت إلى فلولكلور نقدي ساد منذ أواسط القرن العشرين، وكان من أشهر التعبيرات دلالة عليه تعبير جيل الستينيات والسبعينيات.. ومن ثَمَّ فإننا أصبحنا شهوداً على بزوغ جيل أدبي كل عشر سنوات، وهذا الجيل غالباً ما يظهر مرتبطاً بشلل أدبية أكثر من ارتباطه باتجاهات جمالية لها بيانات ثقافية واضحة، أو أقواس جمالية أو نقدية محددة.[4]

ويشير عبد الهادي إلى وجود اتجاه يرى الجيل من منظور حسابي، فيظن هذا الاتجاه أن جيلاً يولد كل ثلاثين عاماً، ووفقاً لتصوره؛ فإن ما يحدد الجيل هو كم من الحراك الذي "يميزه في بنية مجاله المعرفي في فترة زمنية ما"[5]، أي أنه لا بد للجيل من القيام بفعاليات ونشاطات ثقافية، تجعله يكتسب مشروعية الاعتراف به خلال فترة وجوده التي قد تمتد أو تنحسر ربما، تحت تأثير حركته أو سباته.

ومن الذين يرفضون التجييل العقدي شاكر لعيبي، الذي ينوه في مقدمة كتابه الشاعر الغريب في المكان الغريب التجربة الشعرية في سبعينات العراق، إلى أن إطلاقه "صفة (جيل السبعينات) مراتٍ في هذا البحث على هذه الفترة يستجيب للشائع المعروف من أجل مناقشته فحسب، ولا يتعارض مع قناعتنا بخطأ التقسيمات العشرية للأجيال في العراق المعاصر"[6]. ثم يحاول طرح تقسيم جديد للأجيال الشعرية في العراق، أراد من خلاله "أن يهجر نهائياً التقسيمات العشرية التي دأب عليها النقد في العراق: جيل الرواد، جيل الخمسينات، الستينات، السبعينات، الثمانينات، التسعينات"[7]. مضيفاً أن هذه التقسيمات توحي بوجود قطيعة بين الشعراء الذين تختلف أعمارهم، نافياً وجود إضافات جوهرية في كل عقد من السنوات.

---

[1] – نفسه، ص299 وما بعدها.

[2] – الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، ص109 –110.

[3] – عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 12سبتمبر2010.

[4] – عبد الهادي، علاء: في الأجيال الشعرية: جيل السبعينيات، صحيفة الأهرام، مصر، ع45247، 24أكتوبر2010.

[5] – عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع،45205، 12سبتمبر2010.

[6] – لعيبي، شاكر: الشاعر الغريب في المكان الغريب التجربة الشعرية في سبعينات العراق، ص9.

[7] – نفسه، ص19.

فيما يشير لاحقاً بقبوله للتقسيم شكلياً، وذلك لضرورات البرهان المنطقي، بحجة أنْ "ثمة أسماء لا يمكن إدراجها في جيل من الأجيال إمّا لأنها كانت تنتمي زمنياً إلى جيل سابق ولكنها لم تُعرف إلا عند بزوغ جيل لاحق، أو لأن خيارها الأسلوبي وكتابتها الشعرية لا تنسجم مع روح شعر مجايليها وإنما مع روح جيل سابق أو تالٍ أو إلى الشعر ببساطة"[1].

غير أن المسألة فيما تبدو خلاف ذلك، فالقبول الشكلي للتقسيم لا تسوّغه الضرورات التي ذهب إليها لعيبي، وإنما تفرضه القوة والحاجة التي أودت إلى بروز هذه الظاهرة ومن ثم فرضها بهذا القلق وبهذا الإرباك، لتبقى "موضوعة الجيل لازمة تتكرر كلما وضعت تاريخاً أسفل نصك المنشور في صحيفة ما أو كتاب ما، لا لأنها عمل غير مرغوب فيه، إنما لأنها ستلتصق بذلك التاريخ حتف أنفها.. شاءت أم لم تشأ. بقطع النظر عن انتماء هذا النص أو ذاك إلى ظاهرة شعرية بعينها"[2].

ولا يكتفي علي سعدون برفض التجييل العقدي، وإنما يذهب في معرض حديثه عن التجييل والتحقيب إلى الاعتراف "بأن هذه المهمة عسيرة ومتعبة إلى حد كبير.. بل ثمة الأسوأ عندما تدفع بك الحاجة إلى اعتناق معتقد كـ (الجيل)، وأنت الذي كفرت به على طول الحملات (التبشيرية) التي روج لها الآخر"[3]. وهو يقصد بالمهمة مهمة التجييل والتحقيب، التي بدت له محنة وأمراً صعباً، وهذا ليس بالمبرر المنطقي أو الحجة الكافية لكي تدعو ناقداً إلى رفض ظاهرة يستصعب تتبعها والعمل عليها، إذ إنَّ استصعابك القيام بأمر ما لا يعني استحالة قيام غيرك به.

ويشكك عبد الإله الصائغ في قدرة الجيل خلال مدة عقد من السنوات على بلورة شعره ونضج تجربته، ويرى أن دلالة الجيل تخالف بعض المخالفة الدلالة التي يُروَّج لها بنسبته إلى عقد من السنوات، ويؤكد أن هذه الفترة "غير قادرة على تشكيل جيل وإن تضافرت على هذه الشروط المكان والحدث والتجانس والثقافة والتأثر والتأثير"[4]. ويضيف أنه في حال التسليم بمفردة الجيل "فإنما نعني بها فترة السنين العشر (بزيادة أو نقص ضئيلين) التي تكثف نصوصاً مطبوعة في دواوين أو مجلات أو صحف أو بيانات أو كاسيتات"[5].

ولعل تشكيك الصائغ ومن ثم تسليمه – وإن لم يكن تسليماً بالمطلق – وتقييده للجيل بالسنوات العشر بزيادة أو نقص ضئيلين فيه إشارة خفية إلى صراع الأجيال وتداخلها في فترة الزيادة والنقصان، لأن هذه الفترة هي حدود غير مضبوطة، ويمكن للأجيال أن تتداخل فيها ويعدو بعضها على بعض، ومن ثَمَّ يمكن تشبيه الحدود الزمنية الفاصلة بين الأجيال – إلى حد ما – بالحدود الجغرافية الفاصلة بين الدول، فكما أن الثانية تحوي مناطق متداخلة وتخوماً مشتركة وربما مناطق متنازع عليها، فكذلك الأولى، إذ لاحسمَ واضحٌ في الحد الفاصل بين جيلين، إضافة إلى أنه ثمة تقاطعات تسمح أحياناً بنشوء بقعة يشترك فيها أبناء جيلين متتاليين، مما يؤدي إلى بروز أطراف متصارعة تولد ظاهرة "صراع الأجيال". وهذا الأمر يحدث بشكل نسبي، إذ ليس بالضرورة أن ينشأ الصراع، الأمر الذي نجده عندما يتشابه جيلان متتاليان، فيغدو السابق صديقاً للاحق الذي يتمم مسيرته ويكملها.

ويسم فاضل العزاوي فكرة التجييل "بالصبيانية" وفق تعبيره – ولعله يقصد طغيان روح المغامرة – الذي يتضح من خلاله رفضه الكلي لظاهرة الأجيال ولعملية التجييل فيقول: "إننا في الحقيقة ضد تلك الفكرة الصبيانية التي تفرض ظهور جيل أدبي

---

[1] – لعيبي، شاكر: الشاعر الغريب في المكان الغريب التجربة الشعرية في سبعينات العراق، ص38، وهو تعقيب كتبه المؤلف في الحاشية السفلية من الصفحة تعقيباً على كلام أورده في متنها.

[2] – سعدون، علي: جدل النص التسعيني دراسة عن الجيل التسعيني في الشعر العراقي وعلاقته بالأجيال الأخرى، ص16.

[3] – نفسه، ص15.

[4] – الصائغ، عبد الإله: الخطاب الشعري الحداثوي والصوة الفنية الحداثة وتحليل النص، ص122.

[5] – نفسه، ص122.

جديد بالضرورة كل عقد من الزمان مثل جيل الخمسينات والسبعينات والثمانينات والتسعينات، وكأن ذلك يشكل بحد ذاته قيمة ما أو أن كل عقد ينبغي أن يختلف عما سبقه بالضرورة"[1].

وبالرغم من استهجان وصف هذه الفكرة "بالصبيانية" لما فيه من حط وعدم اعتراف بجهد المشتغلين فيها، إلا أننا ننصرف عنها لنتساءل عن السبب الذي دعا العزاوي لعدم ذكر جيل الستينيات في معرض حديثه عن الأجيال، وربما كانت الإجابة بحسب ما يراه في أن هذا الجيل – جيل الستينيات – قد اختلف عما قبله وتمايز عما بعده. وأياً كان السبب الكامن وراء ذلك.. فإن ماذهب إليه العزاوي في روحه الحية يبتعد عن روح الناقد الذي يقدر الآخرين ويحترم جهودهم.

فيما يتخلى هايل الطالب عن مصطلح "الجيل" وفق المفهوم الشائع لأنه يسجل ملاحظات كثيرة على قضية التجييل الشعري، ويثير مجموعة من التساؤلات المشروعة بعد أن تحدث عن السمات التي يرى من وجهة نظره أنها قد تميّز مرحلة شعرية من غيرها لتصح عليها تسمية "(مرحلة أو جيل)" وفق تعبيره، منها التجريب والتوليد. ويعلل بناءً على رؤيته وانطلاقاً منها إطلاق مصطلح "جيل الحداثة على الشعر الذي ثار على الاتجاهات السابقة له في فترة النصف الثاني من القرن العشرين المنصرم، إذ إن تلك القصيدة طرحت مع روّادها ثورة على أطر القصيدة الكلاسيكية السابقة وأشكالها سواء على صعيد الشكل أو على صعيد اللغة"[2]. ومن هذه التساؤلات التي يبحث فيها ويثيرها الطالب: مدى تطابق تسمية الجيل وفقاً للخصائص المميزة التي تحدث عنها وعرضها على ما أنتجه الأدب خلال عقدين من العقود، كعقد التسعينيات أو الثمانينيات، واضعاً عبارة (جيل التسعينيات شيوعاً) ضمن هلالين. ليتساءل بعدها عما إذا كان "الاعتبار الزمني العقدي (جيل كل عشر سنوات) هو مقياس الشعرية، أم إن ما تطرحه هذه التجربة من خصائص فنية هو الرائز لتقييمها، وهل تكفي السنوات العشر لإنتاج تجربة شعرية مغايرة"؟[3]

وبناءً على هذه التساؤلات وهذا التشكيك يظهر بوضوح رفض الطالب للتجييل العشري في كتابه الذي يتحدث فيه عن تجارب شعراء التسعينيات في سورية، ويرى "أن تسمية جيل التسعينيات هي تسمية مرفوضة على الأقل من الناحية الفنية، ويمكن أن تحل محلها تسمية شعر سوري منتج في عقد التسعينيات"[4]. وهذه الرؤية على ما فيها من جدة في الدعوة، فإنه بالإمكان – تأسيساً عليها – لشاعر ينتمي إلى جيل الرواد مثلاً أو إلى الجيل الكلاسيكي أن يدخل من خلال كتاباته في فترة التسعينيات ضمن شريحة التسعينيين، الأمر الذي قد يوقعنا في شيء من الالتباس عند الحديث عن شعراء عقد من العقود.

ويشير محمد مظلوم "إلى ارتباط مصطلح جيل بالشعر دون سواه من الأجناس الأدبية الأخرى من جهة، وارتباطه من جهة أخرى بالعقد أو التقسيم العشري للحقبة تعبيراً عن البعد الزمني للمصطلح"[5]. ويرى أن النقاش في هذه المسألة لم يحسم بعد ولا يظنه سيحسم. وربما لم يقصد مظلوم من ربط مصطلح الجيل بالشعر دون سواه – كما يتبدى إثر تتبع آرائه في كتابه "حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية" – غض الطرف عن وجود أجيال روائية وأخرى تكتب القصة، ناهيك عن أنه من "السائد في الحياة السياسية والنقدية والأدبية العربية بعامة التصنيف إلى أجيال"[6]، وإلا لأصبحت رؤيته قاصرةً وغدا رأيه متعسفاً.

---

[1] – العزاوي، فاضل: الروح الحية جيل الستينيات في العراق، ص9.

[2] – الطالب، هايل: تحولات الدلالة في النص الشعري قضايا ونماذج، ص7.

[3] – نفسه، ص7.

[4] – نفسه، ص8.

[5] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص55.

[6] – عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 12سبتمبر2010.

ويظن بعض ممن رأى أن الجيل الشعري يشغل مساحة زمنية لا تزيد عن عقد من السنوات أن مصطلح الجيل الشعري قد أطلق أول ما أطلق على جيل الستينيات في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر[1]. ويبدو أن الأمر خلاف ذلك، لأن هذا التصور لم يلتفت إلى جيل الخمسينيات وكذلك الأربعينيات، إضافة إلى ذلك فإن البحث لا يتفق مع الفكرة التي يروج لها بعضهم في أن الجيل خلال عشر سنوات ينشأ ويموت، فالجيل يولد خلال العقد الذي ينتمي إليه، ويتشكل قبله بقليل، ليستمر عطاؤه ونتاجه خلال العقود التالية. وهذا ما يفسر ثورة أبناء بعض الأجيال عند ولادتها على أجيال سبقتهم كونهم تشكلوا فيها، ولم ترقهم طروحاتهم أو توجهاتهم.

ويعطي بعض الدارسين الجيل مفهوماً آخر حينما يربطونه بالوعي الجماعي، فيحددونه بجماعة من البشر تقوم بممارسة نشاطها وفقاً لمعايير محددة، وهم حين يقولون (جيل) فإنهم يعنون به "هذا الحراك المعرفي البشري ضمن أركان ومعايير دولة ومجتمع. فالجيل يملك مواصفات المرحلة التي يبدي ردود فعل مختلفة تجاهها ويتعاطى معها من خلال وعيه الذي يختلف ربما عن الجيل السابق واللاحق"[2].

وهناك من رفض التجييل دون فهم معمق لمفهوم الأجيال، مع أنه ضروري لتنظيم تصوراتنا في تاريخ الآداب وموجات المبدعين والمثقفين المتوالية.[3] وعلى الرغم من استهجان بعضهم للتحقيب أو التجييل العشري "فإن إصراراً مريباً عليها يظل مهيمناً رغم كل شيء"[4].

حساسية الجيل ـ إشكالية التجييل:

يخلط بعض الدارسين بين مفهومي الجيل في الأدب، والجيل في العلوم الطبيعية أو المعنية بالإناسة، والذي يقدر من منظور بيولوجي بنحو ثلث قرن، أو متوسط العمر بين ولادة الآباء وولادة الأبناء.

وعلى الرغم من تبني كثير من الدارسين والنقاد لمفهوم الجيل وفقاً للمنظور البيولوجي، فإن رؤاهم وطروحاتهم المبنية على هذا الأساس تظل قاصرة عن المفهوم الحقيقي للجيل في الأدب، وذلك لأن "مفهوم الزمن الموضوعي في العلوم الإنسانية يختلف عن نظيره في العلوم الطبيعية"[5]. ونتيجة لتباين الرؤى حول مفهوم الزمن في العلوم الإنسانية، فإنه من الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تفاوت في النظر إلى العلاقة بين الأجيال ومحددات هذه العلاقة من الناحية الزمنية، وهذا أحد الروائز التي تحدد الجيل، فبرأي البحث: إن مفهوم الجيل في الأدب يرتبط برائزين؛ الأول زمني يتعلق بميلاد الأديب، والآخر فني مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنتاجه الفني وتجربته، مع ضرورة الإشارة إلى أن هذين الرائزين أو المعيارين بينهما علاقة جدلية، إذ يؤثر كل منهما في الآخر على نحو كبير، فهناك "من ينتمون عمراً إلى جيل ما، ويقعون استناداً إلى خطابهم الإبداعي في خارجه"[6]. بمعنى أن ميلاد الشاعر وعمره قد يضعانه في جيل ما، ونتاجه الأدبي ونضج تجربته ربما يضعانه في جيل آخر. لذا فالأمر نسبي وليس محسوماً تماماً، ونتيجة لهذه الحساسية وانطلاقاً منها، تغدو تجربة كل جيل شعري محتاجةً بالضرورة إلى "مراجعة نقدية شاملة وجادة وإعادة قراءة وتوثيق مستمرين"[7]، كون أبناء الجيل يتحكمون بانتمائهم إلى جيل ما، من الناحية الفنية، فيما يفرض عليهم الزمن المتمثل بعمرهم وتاريخ ميلادهم الانتماء إلى جيل آخر. وهنا تبرز أهمية الوضع الاقتصادي الذي قد

---

[1] – الحلاق، محمد راتب: رؤى الأجيال الشعرية، جريدة العروبة، ع13486.

[2] – ضوء على شعراء التسعينيات في سورية، جريدة الخليج، دار الخليج، دبي، 2009/7/11.

[3] – فضل، صلاح: مفهوم الأجيال الأدبية، صحيفة المصري اليوم، مصر، ع2405، الخميس 23 يناير 2011.

[4] – لعيبي، شاكر: الشاعر الغريب في المكان الغريب التجربة الشعرية في سبعينات العراق، ص44.

[5] – حسين، البهاء: صراع الأجيال (2-4)، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 13 نوفمبر 2014.

[6] – عبد الهادي، علاء: في الأجيال الشعرية: جيل السبعينيات، صحيفة الأهرام، مصر، ع45247، 24أكتوبر 2010.

[7] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص97.

يشكل محدداً مهماً في مفهوم الجيل الواحد من خلال علاقته بالمنتمين إليه من جهة ثانية، وذلك بفعل التغيرات التي تطرأ على أنماط الإنتاج والاستهلاك، وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية.[1]

وقد نعثر في تجربة الجيل الواحد على أفرادٍ لا يكتبون بسوية واحدة، ولا يجمع بينهم فهم محدد للعمل الشعري، وبالمقابل فقد نجد أفراداً من جيلين مختلفين توحدهم بعض الخصائص ويشتركون في رؤى معينة، وهذا بحد ذاته ما يسهم في تنويع التجربة المتمخضة عن تجارب جيل واحد وأجيال متنوعة، ومن ثَمَّ سيتلوَّن المشهد الشعري بأطياف تتقاطع هنا وتتعارض هناك. وهذه الحساسية التي ربما تغدو مغامرة يخوضها الشعراء أنفسهم ومتتبعوا الأدب وحركته، تفرض نوعاً من العراك مع الماضي بما يحمله، والراهن بما ينوء عن حمله ويتنصل منه في بعض الأحيان، كون التجارب لا تنضج في الحيز الذي تتمخض فيه، وإنما تحتاج إلى متسع وفضاء رحب، وحاضنة نخبوية لتنضج. ولعل هذا الاختلاف وهذا التنوع والتباين هو ما يوحد الرؤى ويفرقها، من خلال الطروحات المقدمة في النتاجات الشعرية لمجموعة فئوية من الجيل نفسه.

بين التحقيب والتجييل:

لعلَّنا نجد خلطاً بين مفهومي "التحقيب" و"التجييل" عند بعض الدارسين الذين يربطونه بالزمن، فعلى الرغم من ارتكاز هاتين العمليتين على الزمن وانطلاقهما من إحدى نقاطه، فإن فرقاً بين مفهوميهما لا بد من إيضاحه، إذ يعد التحقيب "الإشكال الذي تتقاطع في وظيفته قضايا حاسمة ليست العلاقة بين الماضي والحاضر في محور التحليل الثقافي إلا إحداها"[2]، ومن خلاله يتم تحديد أزمنة الفعل الثقافي والأدبي لكل ثقافة وإعادة قراءة تراثها وصولاً إلى رسم العلاقة بين ماضيها وحاضرها بل وتأسيس آفاق مستقبلها ذاته[3]. وهذا يعني أن مفهوم الحقبة يتبدى في قيامها على أحداث تؤسس لبداية مرحلة تاريخية جديدة تنطلق منها، ونهاية أخرى سابقة عليها، وقد تكون هذه الأحداث انهياراً في البنى أو ازدهاراً حضارياً وربما غزواً أو حرباً..

أما التجييل؛ فإنه مصطلح يختلف نسبياً في مفهومه عن التحقيب من الناحية الفنية، وذلك من حيث الأبعاد والتوجهات والرؤى التي أسس عليها كونه يتعلق بولادة أجيال في كل مرحلة زمنية خلال مراحل تختلف محدداتها من دارس إلى آخر، بحسب الموجهات الفكرية والخلفيات الثقافية والإبستيمولوجية لدى كل باحث أو ناقد أو مشتغل على التجييل. وتشترك العمليتان "التحقيب" و "التجييل" في أن الشريحة المدروسة في كل منهما تسير وفق حركة يفرضها التلاحق والاستمرار والتعاقب المُؤَسَّس على الماضي، المُؤَسِّس للمستقبل، مع قابلية للتأثر فيما سبق، والتأثير فيما سيأتي، وفي الراهن نفسه الذي تدور في فلكه.

وأياً كانت التسمية فإن هذه المفاهيم "التحقيب" و"التجييل" و"الأجيال" وغيرها من المفهومات تتبدَّى أهميتها من خلال الإسهام "بشكل أو بآخر في تأطير المظاهر الأدبية لتسهيل دراستها واستنتاج ملامحها والوقوف تقديراً عند دورها في تحقيق سوية حس إنساني عالٍ بالحياة وشؤونها"[4].

تشكل الأجيال:

إنَّ عمليةً استقرائيةً لحركة الأجيال عموماً وحركة أبناء الجيل الواحد على وجه الخصوص، ستكشف لنا أنَّ الأبناء الذين ينتمون إلى جيل واحد يشتركون في كثير من العادات والصفات، ومرد ذلك إلى "أنَّ حواس الجيل تتداخل في استجابة تفاعلية على قدر كبير من التماثل الكمي"[5]، فنجدهم يقرؤون نوعية خاصة من الكتب، ويسلكون أسلوباً حياتياً مميزاً عن سواهم،

---

[1] – عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع 45205، 12سبتمبر 2010.

[2] – قراش، محمد: إشكال التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح، ص9.

[3] – نفسه، ص13.

[4] – الجرادي، إبراهيم: القصيدة تبحث عن نفسها شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة، ص7.

[5] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص27.

ويرتادون أمكنةً معينةً كالمسارح أو النوادي والمقاهي، ويقبلون على موسيقاهم الخاصة وبرامجهم التلفازية، لتبدو حياتهم التي يسعون فيها وفق كيفياتهم وسلوكهم في نهاية الأمر، وكأنها وحدة عضوية ذات إيقاعات متناغمة متقاربة على نحو يجعل منها نمطاً.

ومن ثَمَّ فإنَّ "ما يشكل الجيل في حقيقته هو حركته، أي انفصاله من خلال وعيه النقدي وإدراكه عن بيئته الثقافية السائدة مثلاً، وهذا ما يؤكد أهمية ارتباط المفهوم بالزمان بمعناه العلمي، وليس بمعناه الخطي الساكن، فضلاً عن ارتباطه بقطيعة، وربما بأزمة... والانقطاع هنا قد يكون انقطاعاً عن تقاليد ثقافية سائدة على سبيل المثال أو عن تقاليد أدبية قارة"[1]. وهذا يعني أنَّ وعي الجماعة وتبنيها لأفكار معينة، والتفافها حول هدف تسعى إليه وفق رؤية محددة مسبقاً، هي أبرز ما يسهم في عملية إفراز الأجيال على هيئة كم من الحراك العلمي والأدبي والثقافي والمعرفي والمجتمعي الذي تميّزه بنيته في فترة زمنية ما، مؤثراً ومتأثراً بالمحيط، ليتجلى هذا التأثير بانعكاسه على نتاجه وممارسته وسلوكه. لذا علينا أن ننتبه "إلى خطورة مفهوم الجيل الأدبي واستخداماته في الخطاب النقدي بعامة والشعري بخاصة، وذلك في ضوء التأثير المفترض للبيئة الاجتماعية والسياسية، الذي يستتبع أقساماً جديدةً من الإنتاج الأدبي تظهر في أعمال أدباء كبار كانوا قادرين على التعبير عن رؤية جيل ما إلى العالم من خلال إبداعهم"[2]. وانطلاقاً من ذلك، فإنه أصبح بالإمكان ربط المفهوم المتعلق بالجيل الأدبي وفقاً لمستوى الإنتاج برؤية محددة متشكلة بين أفراد مجموعة من أبناء الجيل، تتجلى في سلوكهم وممارستهم على نحو مؤثر في بنية البيئة الحاضنة لهذا الجيل، "فضلاً عن قدرته على طرح البدائل على مستوى الشكل والمضمون تنظيراً وممارسةً"[3]، ليغدو موقفه النقدي من الثوابت التي أسست لها وتبنتها الأجيال السابقة له من أبرز محدداته.

كما يرتبط مفهوم الجيل بالكيف والكم والإنجاز والحركة والتغيّر، "ذلك لأن إطلاق هذه اللفظة على حقبة زمنية ما يبدأ دائماً على المستوى الكيفي من خلال طليعة لها حراكها المختلف في المجال الذي خرجت منه، ولها اتجاهها الجمالي الجديد، واجتهادها المعرفي المميز"[4]، الذي يسمها عن غيرها من الحركات، إذ "لايمكن النظر إلى الحقب الزمنية في تواريخ الأمم نظرةً واحدة ثابتة ونمطية، خاصة في واقع قلق ومتغيّر ومضطرب"[5]، لأن لكل حركة نشاطها وهدفها وغاياتها والتوجهات التي تدفعها إلى تبني مقولة أو رفضها، مع قابلية للتمادي بالإطاحة بهذه المقولة التي ربما تكون حركةً، أو عادةً، أو تقليداً، أو تياراً يحمل طابعاً ثقافياً أو أدبياً أو معرفياً أو سياسياً.. وهذه التحولات والتقلبات تتعلق بالزمن، وفقاً لمنحاه المتغيَّر والممتدّ من لحظة بزوغ هذه الحركة (الجيل)، وحتى آن تداخلها النسبي مع الحركة (الجيل) التالية لها، الأمر الذي قد يثير خلافاً كبيراً بين جماعات الأجيال المتعاقبة من جهة، وبين جماعات أو أبناء الجيل الواحد من جهة أخرى. "وبذلك يصير مفهوم الجيل دالاً على التحولات والتغيّرات التي يعرفها المشهد المجتمعي في كليته"[6]، وهذا ما يعزز أهمية الزمن بالنسبة إلى حركية الأجيال، كونه العنصر المتحول والمتغير الذي يواكب مسيرة الجيل بنشاطاته ونتاجه وسلوكه، وكل ذلك وفق هيكلية قد تكون منتظمة وقد لا تكون. "بمعنى أن التحولات الكمية والتدرّج الرياضي للزمن، يرتبط عادة بتدرّج وصعود في طبيعة النظرة إلى

---

[1] – عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 12سبتمبر2010

[2] – عبد الهادي، علاء: في الأجيال الشعرية: جيل السبعينيات، صحيفة الأهرام، مصر، ع45247، 24 أكتوبر 2010.

[3] – عبد الهادي، علاء: في الأجيال الشعرية: جيل السبعينيات(2)، صحيفة الأهرام، مصر، ع45261، 7 نوفمبر 2010.

[4] – نفسه.

[5] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص27.

[6] – الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، ص110.

المحيط الذي تجري فيه تلك الحركة، مرة على شكل قفزة عمياء، وأخرى بصيغة طفرة محسوبة، وثالثة على هيئة مراوحة كناية عن سكون، أو حتى تقهقر بصيغة الحركيّة"[1] .

ويرى صلاح فضل أن هناك عوامل فعالة تسهم في تشكل الجيل الأدبي، ومن أهمها "تواريخ الميلاد المتقاربة وأنماط التربية السائدة، ودرجة التواصل الشخصي بين الأفراد، إلى جانب المعايشات الكبرى للهزات التي يتعرض لها أبناء الجيل الواحد، مثل الثورات والحروب والتطورات الحضارية البارزة في اللحظات التاريخية الفاصلة في حياة الشعوب والثقافات"[2].

ويشير فضل إلى أمر مهم جداً في ظاهرة الأجيال، يتمثل في وجود نماذج قائدة تتزعم جيلها، وأخرى تابعة ليس لها تأثير كبير في الجيل الذي تنتمي إليه زمنياً، كونها لم تتشرب روحه بالقوة ذاتها، إذا "غالباً ما تتقدم شخصية رائدة، أو أب روحي للجيل يلخص أثر تلك العوامل كلها في تشكيل وعيه ورؤيته بطريقة تفوق غيره، وتطبع عصره، وتجعل الآخرين يدورون في فلكه، وتصبح المصطلحات والشعارات التي يرفعها هي الرائجة بين أبناء جيله، مما يمثل فارقاً واضحاً يميزه عن الأجيال السابقة عليه أو اللاحقة له"[3]. ونلمس في ذلك إشارة واضحة إلى جيل الستينيات، الذي اصطلح على تسميته بجيل الرواد، الذين امتلكوا وعياً سياسياً وثقافياً وأدبياً دعاهم إلى قيادة بقية الفئات التي وجد أغلبها بدوره الأب الروحي في الرواد، فتمثلوا آراءهم وساروا خلف شعاراتهم وتبنوا ما دعوا إليه نتيجة المتغيرات والأحداث التي شهدتها فترة الستينيات. مما جعل أبناء ذلك الجيل "يمثلون كياناً متجانساً على الرغم من الفوارق الفردية اللافتة بينهم"[4].

ويرى بعضهم أن الثورة على الآباء وقتلهم هي أبرز ما يفرز الأجيال ويبعث على ديمومة حركيتها. وذهب آخرون إلى أن الجيل عندما يأتي يسعى إلى طمس معالم الجيل السابق ويحاول جاهداً هدم أفكاره والإطاحة بطروحاته التي دعا إليها وروَّج لها، لذا فإنهم يتبنون فكرة تسليم الرايات من جيل إلى جيل ويدعون إليها كونها "أكثر إنسانية من فكرة الاقتناص التي تصور جيلاً يسعى لإزاحة جيل سابق والجلوس مكانه ليمارس أول ما يجلس نفس ما كان يفعل الجيل السابق في الاستعداد للدفاع عن نفسه ضد جيل قادم. لأن فكرة التسليم والتسلُّم تحمل في داخلها معنى التعايش والتجاور والتأثير والتأثُّر، والتعاقب الذي ينتهي مع دورة الحياة الإبداعية بتسليم الراية"[5].

وهذا الرأي على ما فيه من بعد النظر والاتساع في الرؤيا، إلا أن البحث لا يتبناه بالمطلق، كون الجيل لا ينشأ ويموت خلال العقد الذي ينتمي إليه، وإنما يستمر عطاؤه ونتاجه خلال الأجيال والعقود التالية، لنكون هنا أمام التعايش الذي يفرض نفسه على الأجيال المتداخلة نسبياً مع بعضها. الأمر الذي يؤكد عدم وجود قطيعة على النحو الذي يُرَوَّج له بين الأجيال والموروث السابق. ففي سورية على سبيل المثال؛ كان هناك أحداث كثيرة في فترة النصف الثاني من القرن العشرين، وهذه الأحداث التي مرت بها سورية قادت اليقين الشعري "إلى مواقع جديدة لم تستطع التخلي عن موروثها القريب، الذي تجلى تحديداً في السبعينيات، تجارب وجدت في ممثليها تأصيلاً للنص الجديد، وتنظيراً لأسبابه وبواعثه وأشكال تعبيراته، لتفرض هنا حقيقة أن الانعطافات الكبرى تخلق ما يوازيها من أشكال تقوم على محمولات، هي في الوقت نفسه تجليات لهذه الانعطافات وتمثلات لأبعادها"[6].

---

[1] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص27.

[2] – فضل. صلاح – مفهوم الأجيال الأدبية، صحيفة المصري اليوم، مصر، ع2405، الخميس 13 يناير 2011.

[3] – نفسه.

[4] – فضل. صلاح – مفهوم الأجيال الأدبية، صحيفة المصري اليوم، مصر، ع2405، الخميس 13 يناير 2011.

[5] – حسين، البهاء: صراع الأجيال (1-4)، صحيفة الأهرام، مصر، ع46707، 23 أكتوبر 2014.

[6] – الجرادي، إبراهيم: القصيدة تبحث عن نفسها شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة، ص10-11.

وما يعزز هذه الفكرة ويدعمها ويدلل عليها أن "جيل الثمانينيات والتسعينيات لم يخرج تماماً، ولا يستطيع أن يخرج تماماً عن مناخات وحالات وإشكالات سابقة عليه، وأن روابط كثيرة ووشائج تفرض وتؤكد تآخي نصوصه تآخياً أليفاً مع نصوص جيل السبعينيات والستينيات أيضاً"[1]. فموضوعات الشعراء في الثمانينيات والتسعينيات على ما فيها من التنوع والطروحات الجديدة، تظل امتداداً وتشكل صدىً لما كان رائجاً في الفترات السابقة، وما أتت به الأجيال في الستينيات والسبعينيات، إذ نلمح فيها القضايا الوطنية والقومية على الرغم من بروزها على نحو أوضح ووفق صور ذات عمق أكبر في الستينيات والسبعينيات، كون الهم القومي كان قضية يحملها العرب وتشغل تفكيرهم بجميع فئاتهم وشرائحهم وطبقاتهم. إلا أن هذه الموضوعة على الرغم من انحسارها ظلت متوارثة في الأجيال التالية. مع الإشارة إلى تطور الدوال الشعرية لاختلاف محمولاتها والخلفيات الإبستيمولوجية النابعة عنها والمولدة لها. فالنسر في قصيدة عمر أبي ريشة كان يشكل قناعاً، أما في القصيدة التسعينية على سبيل المثال فإن الطير على نحو عام والنسر أحد أنواعه، اكتسب دلالة جديدة انفتحت على آفاق أوسع، فصرنا نجد الطير حاضراً وبقوة في أولى عتبات المجموعات الشعرية "العنوان"، كما في "آخر أسراب العصافير" و "راهبة القمح الحمامة" لطالب هماش، و"كسرب لقالق بيضاء" لرولا حسن، و"رحلة الفينيق" لبهيجة إدلبي، و"منازل وطيور" لناصر زين الدين، وغيرها..

كما يرى بعضهم أن " تضخيم الفروقات بين شعر الأجيال المختلفة هو أمر افتراضي ومتخيل، قائم على تراتبات وأنساق فكر اجتماعي ذي طبيعة غير شعرية، الأمر الذي لا ينفي وجود مفاصل ذات خصوصية تسم هذه الفترة أو تلك"[2]. فخصوصية الستينيين تمثلت بالكتابة الكلاسيكية وحمل هموم الجماهير، والسعي خلف تطلعاتها، والنهوض بالمجتمع من واقعه المؤلم والمؤسف لاسيما بعد نكسة عام 1967م، التي شكلت انعطافة كبيرة وصدمةً تركت أثراً بالغاً لدى الجماهير وفئات الشعب، والشعراء من بينهم بطبيعة الحال.

فيما انفرد التسعينييون بخصوصية تمثلت غالباً في التركيز على القضايا الفردية وتصوير واقع الفرد والحديث عما بات يعرف بقصيدة التفاصيل اليومية بعيداً إلى حد ما عن هموم المجتمع، لتسود الذاتية والفردية كما عند طالب هماش وناصر زين الدين وغيرهم من أبناء الجيل التسعيني، وسعد الدين كليب وراتب سكر وغيرهم من أبناء الجيل الثمانيني.

ونلمس في تتبعنا بعضَ هذه التجارب، أنها قد سعت بحق إلى التمايز، لكنه "تمايز لم يعمل على (قطيعة جمالية) تتناقض بحدَّة مع منجزات سابقة عليه، وهذا يعود بأصوله إلى وعي وإدراك حاسمين بأن القيم الجمالية تورث مزاياها مهما جاهد بعض (التنظير)، وخصوصاً ذاك الذي يصاحب بعض التجارب ويروج لها على أرضية تأسيسها لقيم جمالية (لا عن سابق مثال) تبتكر (نفسها) من أفقٍ خاصٍ، لا قبله ولا بعده"[3].

أهمية التجييل:

يسعى النقاد ودارسوا الأدب بتوظيفهم التجييل إلى تسهيل عملية تناول الأدب ودراسته وتحليله، وذلك بالوقوف على شرائح مصنّفة وفقاً لنظام أو معيار وربما معايير متفق عليها، حرصاً على ضبط حركة الأدب ومراقبة هذه الحركة انطلاقاً من دراسة نتاج الأدباء في كل مرحلة (جيل) من مراحل التاريخ (الزمن) الذي يواكبه الأدباء (منتجوا الأدب)، "فالأجيال الأدبية التي لاحت في تاريخ الأدب، ما هي إلا ترجمة أدبية لما كان يجيش في المجتمع المحلي؛ فالدرس السوسيولوجي الأدبي يلح كثيراً على الربط بين المتغيرات الخارجية والإنتاجات الأدبية، فقراءة المجتمع في زمن ومكان ما، تغدو ممكنة عبر قرائح الأدباء"[4]، ومن ثَمَّ تبرز أهمية التجييل انطلاقاً من إمكانية "تشريح الواقع الاجتماعي وتحولاته بالأساس، عبر متابعة الأجيال

[1] – نفسه، ص11.

[2] – لعيبي، شاكر: الشاعر الغريب في المكان الغريب التجربة الشعرية في سبعينيات العراق، ص18.

[3] – الجرادي، إبراهيم: القصيدة تبحث عن نفسها شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة، ص8.

[4] – الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، ص110.

الأدبية في تعاقبها وتناقضها.. وبذلك فسوسيولوجيا الأدب تتيح إمكانيات أخرى لقراءة المجتمع في حركيته وتناقضاته عبر ظاهرة الأجيال الأدبية"[1].

إضافة إلى ذلك؛ فإن أبناء الجيل بنشاطهم وفاعليتهم التي هي بلا أدنى شك مؤثر كبير وقوي في بناء المجتمع الذي ينتمون إليه بطبيعة الزمان والمكان، ينقلون حراك هذا المجتمع الحاضن لهم وثقافته، ويعبرون عن أفكاره ويحملون رؤاه – التي ربما قاموا بإعادة بلورتها وتوجيهها – إلى الأجيال القادمة. فحين نتحدث عن جيل فإننا نتحدث "عن نشاط بشري نخبوي في سياق وجود دولة ومجتمع وطبقات ومؤسسات مفترضة، إضافة إلى النخب والفعاليات، ليعبر هذا النشاط عن الوجود النوعي والهوياتي لتلك الكتل والجماعات والنخب بصيغ متعددة تسعى لترسيخ مرحلة معينة في سياق حقبة من التاريخ"[2]، ومن ثَمَّ فأبناء الجيل يحاولون نقل تأثيرهم ومده إلى الفترة التي سوف تلي الامتداد الزماني لهم، لنكون بذلك أما مشهد صراع الأجيال، الذي يتجسد من خلال التداخل الحاصل بين السابق للجيل واللاحق له. فالتخوم أو الحدود الفاصلة بين أبناء جيل وجيل سابق وآخر لاحق لهم، تكاد تكون معدومة إذا ما افترضنا أنها غير موجودة أصلاً، لأن " الجدل القائم بين الأجيال أخذ منحىً إبدالياً لا اقتراحياً، متأثراً بجدل الأيديولوجيا، بمعنى أن كل جيل يأتي ليعلن عن نفسه بديلاً لما سبقه، ولا تشرق شمسُ أبديته إلا في غروب وانمحاق شمس الباقين"[3].

مع الإشارة إلى أن هذا الأمر قد لاينسحب أو ينطبق على كل الأجيال، إذ ثمة أجيال يقوم بينها تداخل وتماهٍ يسهم في امتداد تأثير السابق في اللاحق. ومن ثَمَّ – كما سبق وأشرنا – فإنه "من المحال أن يوجد جيل ما على نحو نقي ذلك لأن الجيل مختلط بالضرورة ومتغير بفعل مرور الزمان، وهذا ما يلونه بألوان كثيرة لأجيال سبقته، وأخرى لحقت به"[4]. فالجيلان المتجاوران "أشبه بنهرين يسيران متوازيين قريبين من بعضهما، وكلما امتلأ أحدهما فاض على الجانب الآخر مشكلاً دلتا خصبة تجعل المسافة بين النهرين ثرية بالخصب حتى تتداخل فيها مكونات النهرين"[5]. وهذا أمر له إيجابياته التي تدفعنا إلى تقبله، وسلبياته الدافعة إلى توخي الحذر عند الحديث عن هذه الحدود والفواصل، كون المسألة لم تحسم بعد.

نتائج البحث:

بتتبع البحث ورصده آراء بعض النقاد والمشتغلين في التجييل توصل إلى النتائج التالية:

1-انتقل مصطلح "الجيل" بدلالته ومفهومه من المعنى المعجمي الضيق إلى دلالة أوسع، اكتسبها من خلال ارتباطه بالزمن والفن والمجتمع وأبنائه. وهذه الدلالة تختلف وتتباين من ناقد لآخر، وفقاً للسياق المعرفي الذي يبني عليه مفهومه للزمن، مما منح المفهوم حساسيته التي جعلت منه إشكالاً، ليس في الدرس النقدي أو الأدبي فحسب، وإنما بين أبناء الجيل الواحد والأجيال المتعددة.

2- أسهمت هلامية التخوم غير الحاسمة بين جيلين من الأجيال المتجاورة، إضافة إلى التقارب الزمني، وضيق المساحات الزمنية التي يتحرك ضمنها الجيل، في خلق صراع بين الأجيال الشعرية يتنامى بتداخل تلك الأجيال مع بعضها، وهو أمر طبيعي تفرضه الظروف الاجتماعية والبيئية، ويؤثر فيه السياقان الثقافي والمعرفي لأبناء الجيل، ومن ثَمَّ لا وجود لقطيعة معرفية بين الأجيال المتلاحقة خلافاً لما ذهب إليه بعض الدارسين.

---

[1] – نفسه، ص110-111.

[2] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص27.

[3] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص58.

[4] – عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 12 سبتمبر 2010.

[5] – مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، ص395.

3- أسهمت رؤى النقاد المتباينة حول مصطلح "الجيل الشعري" في إثارة حساسية المفهوم، وعمقت طروحاتهم المبنية على اختلاف فهمهم للزمن، البحث في مسألة التجييل والأجيال الشعرية، وجعلت هذه الظاهرة باباً يدخل منه كل من يريد تتبع حركة الأدباء خلال المراحل والفترات الزمنية المتلاحقة.

4- أودى خلط بعض الدارسين في أثناء حديثهم عن الأجيال بين مصطلحي "التجييل" و"التحقيب"، إلى تعدد الآراء وتشعبها، وزيادة أزمة فوضى المصطلحات التي يحاول النقد التخفف من أعبائها، لكنها تكثر مع كل عملية تنظير جديدة.

5- أغلب الآراء التي قدمها النقاد والتي دارت حول قضية "التجييل العقدي"، أي ولادة جيل شعري كل عشر سنوات، تباعدت تارةً وتقاربت تارةً أخرى، ولم يصلوا من خلالها إلى وجهة نظر تحسم أمر "التجييل".

6- ليس الزمن العامل الوحيد المؤثر في عملية "التجييل"، وإنما تتضافر معه عوامل أخرى من أبرزها التجربة الفنية والنتاج الأدبي والشعور بأفكار أبناء الجيل الذي يتحرك ويتشكل في مجتمع له ثقافته وخصوصيته وعاداته وتقاليده وتوجهاته الفكرية.

7- رغم رفض بعض النقاد "ظاهرة التجييل" واستصعاب آخرين العمل عليها، فإنها تبقى ظاهرة بارزة ذات أهمية بالغة، تكمن في تسهيل العمل لدراسة حركة الأدب والأدباء وتتبعهم وفقاً لانتماءاتهم الجيلية.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت. بلا تاريخ طبع.
- البعلبكي، منير: المورد، دار العلم للملايين، 1992.
- الجرادي، إبراهيم: القصيدة تبحث عن نفسها شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة كتاب الجيب، السنة الرابعة، ع46، شباط 2011.
- الجواهري: الصحاح في اللغة والعلوم تجديد صحاح العلامة الجوهري، دار الحضارة العربية، بيروت، ط1، 1974.
- الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1965.
- سعدون، علي: جدل النص التسعيني في الشعر العراقي وعلاقته بالأجيال الأخرى، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2017.
- شكري غالي: العنقاء الجديدة صراع الأجيال في الأدب المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1993.
- الصائغ، عبد الإله: الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية الحداثة وتحليل النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999.
- الصكر، حاتم، أجيال الشعر لا الشعراء، الموقع الإلكتروني لحاتم الصكر hatemalsager.com/?p=553
- الطالب، هايل محمد: تحولات الدلالة في النص الشعري، مطبعة اليازجي، دمشق، ط1، 2012.
- العزاوي، فاضل: الروح الحية جيل الستينات في العراق، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط2، 2003.
- فضل، صلاح: في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007.
- قراش، محمد: إشكال التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2011.
- لعيبي، شاكر: الشاعر الغريب في المكان الغريب التجربة الشعرية في سبعينات العراق، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 2003.
- مظلوم، محمد: حطب إبراهيم أو الجيل البدوي شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، دار التكوين، دمشق، 2014.

- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطين للإبداع الشعري: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مطابع الملك، دولة الكويت، ط2، م6.
- الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة العربية. بلا تاريخ طبع.

الصحف والمقالات:

- الأجيال الأدبية وجدل التحقيب الزمني، جريدة الخليج، دار الخليج، دبي، 2011/9/4.
- حسين، البهاء: صراع الأجيال (1-4)، صحيفة الأهرام، مصر، ع46707، 23 أكتوبر 2014.
- حسين، البهاء: صراع الأجيال (2-4)، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 13 نوفمبر 2014.
- الحلاق، محمد راتب: رؤى الأجيال الشعرية، جريدة العروبة، حمص، ع13486.
- ضوء على شعراء التسعينيات في سورية، جريدة الخليج، دار الخليج، دبي، 2009/7/11.
- عبد الهادي، علاء: في الأجيال الشعرية جيل السبعينيات (2)، صحيفة الأهرام، مصر، ع45261، 7 نوفمبر 2010.
- عبد الهادي، علاء: في الأجيال الشعرية جيل السبعينيات، صحيفة الأهرام، مصر، ع45247، 24 أكتوبر 2010.
- عبد الهادي، علاء: في مفهوم الجيل، صحيفة الأهرام، مصر، ع45205، 12 سبتمبر 2010.
- فضل، صلاح: مفهوم الأجيال الأدبية، صحيفة المصري اليوم، مصر، ع2405، 23 يناير 2011.